مـدخـل

- ١ -

مثلت ثورات الربيع العربي نقطة تحول بارزة نحو حقبة جديدة يعاد فيها تشكيل خريطة القوىٰ والتيارات الفاعلة في المشهد الاجتماعي والسياسي العربي، الأمر الذي أبرز أهمية التتبع الدقيق والمنهجي لنمط ودور كل فاعل من هذه الفواعل في المحيط الفكري والسياسي الذي تعايشه.

وبعد أن مارست أنظمة ما قبل الثورات عملية «تصحير» فكري و«تجريف» سياسي علىٰ جل القوىٰ والرموز المعارضة، استخدمت هذه الأنظمة بالتوازي استبدادًا وضغطًا اجتماعيًا علىٰ الأكثرية والأقلية، منتجة بذلك حالة من الاحتقان المجتمعي المستدام، وهو الأمر الذي تم توظيفه سياسيًا باتجاه خدمة إنتاج حالة مجتمعية مفككة تعطي لهذه النظم المبرر لاستخدام العنف بغية احتواء

الأزمات الاجتماعية «المفتعلة»، كما تعطي المسوغ لتعميم ثقافة مغلوطة عن الطبيعة السوسيولوجية لمكونات المجتمع، بل وطبع صورة عدائية في العقل الجمعي لكل مكون من هذي المكونات تجاه الآخر.

في حالة مصر؛ كان النظام السلطوي في حقبة ما قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير نموذجًا مثاليًا لمفهوم التسلط والاستبداد اللذين مورسا علىٰ مختلف مكونات المجتمع المصري، أقلية وأكثرية، بيد أن العبث الذي مارسه جهازا «أمن الدولة» و«المخابرات العامة والحربية» في أدوار وتأثيرات الأقليات علىٰ المشهد الفكري والسياسي والاجتماعي المصري مثَّل عقبة من عقبات تجريد الوضع الحقيقي لهذه الأقليات ومعرفة طبيعة أوزانها المجتمعية وتأثيراتها السياسية، الأمر الذي يعني ضرورة التنقيب والتفتيش عن معطيات حقيقية لقراءة واستبيان الأوضاع المجردة/ الوصفية لهذه الأقليات.

- ٢ -

تعتبر الأقلية المسيحية في مصر أبرز وأكثر الأقليات المؤثرة والفاعلة في الحالة المصرية، حيث مرَّت بعدد من التفاعلات (تأثيرًا وتأثّرًا) منذ عام ١٨٣٩م إبان الخلافة العثمانية وحتىٰ الحقبة المباركية، وعبر هذه السنين الطوال تموقعت الفاعلية المسيحية في

المشهد الفكري والسياسي المصري بشكل معين وصوب أهداف محددة ولخدمة مسارات مرسومة، لا نتعجل هنا القطع بها، إلا أننا سننتهج في هذا التقرير منهجًا وصفيًا تجريديًا وموضوعيًا قدر الطاقة، ومن ثم يمكن استنطاق معطيات التقرير لتكوين صورة علمية ومنهجية لحقيقة الوضع والحالة والفاعلية التي تمثلها الأقلية المسيحية في مصر، مع الأخذ في الاعتبار التعقيدات والتداخلات الاجتماعية والسياسية التي تتعلق بالحالة.

- ٣ -

ثمة أقلية أخرىٰ ضمن مكونات الأقليات المصرية وهي الطائفة النوبية المتمركزة في جنوب مصر، وهي طائفة تعرضت لجملة من الظروف والتفاعلات كان أبرزها عمليات النقل/التهجير التي طالت الأسر النوبية من قبل الحكومات المصرية وذلك لبناء السدود والبحيرات علىٰ نهر النيل، وهو الأمر الذي سبب حالة احتقان نوبي تجاه الحكومات المصرية المتعاقبة؛ نسير وفق ما اخترناه من منهج وصفي تجريدي لتحقيق صورة واضحة كاملة لحقيقة الحالة النوبية المصرية.

- ٤ -

ثالث المكونات المطروحة في تقريرنا هذا هي «البهائية»، وهي مذهب ديني خليط من الرسالات السماوية الثلاث، تتخذ من ميرزا حسين علي النّوري الملقب بـ «بهاء الله» مبشرًا/ مدعي نبوة لهذا الدين/المذهب، وقد حظي هذا المذهب بانتشار واسع علىٰ مستوىٰ العالم ولكن بأعداد قليلة. ويمارس البهائيون في مصر ضغوطًا علىٰ السلطات القضائية لتقرير حقهم في الاعتراف بهم كديانة رسمية، الأمر الذي قطع دابره علىٰ يد جمال عبد الناصر الذي حظر جميع المحافل البهائية في مصر، ولم يظفر بعدها البهائيون إلا بالموافقة علىٰ كتابة (_) في خانة الديانة في البطاقات الشخصية الرسمية، ولا تزال الحالة البهائية من حيث التفاعلات الفكرية والسياسية مبهمة وغامضة، خاصة وأن البهائيين في العالم يسيرون وفق نظام إداري وانتخابي محكم تابع لمركزهم الرئيسي في «حيفا»، لذا فمحاولة فهم الواقع البهائي المصري يستلزم استقصاءًا وبحثًا منهجيًا وفق ما انتهجناه في تقريرنا هذا.

- ٥ -

وأثناء إعدادي للخطة البحثية تغيرت بعض الأمور في ذهني بعد الانقلاب العسكري في مصر في ٣ يوليو ٢٠١٣م، ولم يكن

هذا التغير نتاج معطيات جديدة عن موضوع بحثي هذا، ولكنه كان مرتبطًا بمستوىٰ قوة وفاعلية الأقلية المسيحية في المشهد السياسي المصري؛ حيث مثلت جملة من الأحداث والمواقف التي تعاطىٰ بها المسيحيون مع مظاهرات ٣٠ يونيو ٢٠١٣م منحنىٰ جديدًا في مستوىٰ فاعليتهم في الحالة السياسية المصرية، وهو الأمر الذي سأحاول تبيينه وتجريده في ثنايا التقرير، خاصة وأن المشهد السياسي والاجتماعي المصري مازال يهل علينا بالجديد كل لحظة.

- ٦ -

وقد انتهجت في تقريري المنهج الوصفي: وهي عملية تقدم بها المادة العلمية كما هي في الواقع، بلا تعليل ولا تفسير، وهو يقوم علىٰ استقراء المواد والمعطيات العلمية التي تخدم إشكالًا ما أو قضية ما وعرضها عرضًا مرتبًا ترتيبًا منهجيًا. بالإضافة لمنهج استقرائي يستنطق المعطيات الوصفية المذكورة.

وتلازمني في ختام هذه التقدمة رغبة في تسطير كلمات شكر وثناء..

أولًا: للرب سبحانه وتعالي.. فله كل المحامد والمشاكر المستطاعة.. سبحانه اللطيف الخبير..

كما أشكر والدي الكريمين.. اللذين استمطرا لي رحمات وبركات السماء.. رب ارحمهما كما ربياني صغيرا..

والشكر موصول للزوجة الصادقة أم عبيدة.. فقد ارتضت الصبر وحسن العشرة أمام مصاعب البحث ومشاق الكتابة..

وأختم خير ختام بجزيل الشكر والامتنان لأخي الحبيب وأستاذي الأريب.. أبي فهر أحمد سالم.. نفع الله به.

د. محمد توفيق

في ١٧ ربيع الأول ١٤٣٥هـ

١٨ يناير ٢٠١٣م